

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا
وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ
الصَّادِقُونَ﴾ (١٥)

[الحجرات: 15]

❁ مُنَاسِبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

في مناسبة الآية لما قبلها وجهان: أَوَّلُهُمَا: أَنَّهَا إِرْشَادٌ لِلْأَعْرَابِ
الَّذِينَ قَالُوا: ﴿ءَامَنَّا﴾ إِلَى حَقِيقَةِ الْإِيمَانِ^(١). وَثَانِيهِمَا: أَنَّهَا وَصَفٌ
لِلْمُؤْمِنِينَ الْمُخْلِصِينَ بَعْدَ ذِكْرِ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرِ الْمُخْلِصِينَ^(٢)، وَهَذَانِ
الْوَجْهَانِ وَجْهٌ وَاحِدٌ عِنْدَ التَّأَمُّلِ.

بيان حقيقة
الإيمان لمن لا
يعرفها حق
المعرفة

❁ شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ:

(1) ﴿لَمْ يَرْتَابُوا﴾: (ريب) أصلٌ يدلُّ على شكٍّ وخوفٍ، ومن ذلك
تقول: رابني هذا الأمر؛ إذا أدخل عليك شكًا وخوفًا⁽³⁾، وأرابَ الرَّجُلُ:
صارَ مُرِيبًا ذَا رِيبةٍ⁽⁴⁾، واسترَبْتُ بِهِ: رأيتُ منه ما يريبني⁽⁵⁾، والرَّيبَةُ:
قَلَقُ النَّفْسِ واضطرابُها، فَإِنَّ كَوْنَ الْأَمْرِ مَشْكُوكًا فِيهِ مِمَّا تَقْلُقُ لَهُ
النُّفُوسُ، وَلَا تَسْتَقِرُّهُ، وَكَوْنُهُ صَادِقًا مِمَّا تَطْمَئِنُّ لَهُ، وَرَيْبُ الزَّمَانِ:
نَوَائِبُهُ الَّتِي تَقْلُقُ لَهَا النَّفُوسُ، وَتَشْخَصُ فِيهَا الْقُلُوبُ⁽⁶⁾، وَالْمَرَادُ هُنَا:
أَنَّهُمْ آمَنُوا، ثُمَّ لَمْ يَقَعْ فِي نُفُوسِهِمْ شَكٌّ فِيمَا آمَنُوا بِهِ، وَلَا اتِّهَامٌ لِمَنْ
صَدَّقُوهُ، وَاعْتَرَفُوا بِأَنَّ الْحَقَّ مِنْهُ⁽⁷⁾.

(2) ﴿وَجَاهَدُوا﴾: (جهد) أصلٌ يدلُّ على المَشَقَّةِ، وَمِنْ ذَلِكَ:

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 117/28، والبقاعي، نظم الدرر: 388/18.

(2) النسفي، مدارك التنزيل: 359/3، والنيسابوري، غرائب القرآن و رغائب الفرقان: 169/6.

(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (ريب).

(4) الخليل، العين: (ريب).

(5) الجوهري، الصحاح: (ريب).

(6) السمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (ريب).

(7) الرمخشري، الكشف: 377/4.

الاجتهادُ، وهو أَخَذُ النَّفْسِ ببذلِ الطَّاقَةِ وتحْمِلِ المشقَّةِ، والجهادُ والمجاهدةُ: استقراغُ الوُسْعِ في مدافعةِ العدوِّ، والجهادُ ثلاثةُ أَضْرِبٍ: مجاهدةُ العدوِّ الظَّاهِرِ، ومجاهدةُ الشَّيْطَانِ، ومجاهدةُ النَّفْسِ⁽¹⁾، والمرادُ هنا: مقاتلةُ العدوِّ، أو جميعِ أنواعِ الجهادِ⁽²⁾.

(3) ﴿سَبِيلَ اللَّهِ﴾: (سبل) أصلٌ يدلُّ على امتدادِ شيءٍ، ومِنْ ذَلِكَ يُقَالُ: أَسْبَلَ الزَّرْعُ؛ إِذَا خَرَجَ سُنْبُلُهُ، وامتدَّ طَوْلًا⁽³⁾، والسَّبِيلُ: الطَّرِيقُ الَّذِي فِيهِ سُهولةٌ، ويُقَالُ لَسَالِكِ السَّبِيلِ: سَابِلٌ، وَيُسْتَعْمَلُ السَّبِيلُ لِكُلِّ مَا يُتَوَصَّلُ بِهِ إِلَى شَيْءٍ، خَيْرًا كَانَ أَوْ شَرًّا⁽⁴⁾، والمرادُ بسبيلِ اللَّهِ هنا: دينُهُ وطاقته⁽⁵⁾.

(4) ﴿الصَّدِيقُونَ﴾: (صدق) أصلٌ يدلُّ على قوَّةٍ في الشَّيْءِ قَوْلًا وَغَيْرُهُ، وَمِنْ ذَلِكَ: الصَّدْقُ، وهو خِلافُ الكَذِبِ، سُمِّيَ بِذَلِكَ: لِقوَّتِهِ فِي نَفْسِهِ، وَلأنَّ الكَذِبَ لَا قوَّةَ لَهُ، فهو باطلٌ⁽⁶⁾، وَيُسْتَعْمَلُ التَّصَدِيقُ فِي كُلِّ مَا فِيهِ تَحْقِيقٌ⁽⁷⁾، والمرادُ هنا: خِلافُ الكَذِبِ.

❁ الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيَّةُ:

يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ حَالِ الْمُؤْمِنِينَ الصَّادِقِينَ فِي إِيْمَانِهِمْ، فيقول: إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الْكُمَّلُ الَّذِينَ صَدَّقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ، ثُمَّ لَمْ يَشْكُوا، وَلَا تَزَلُّوا، بَلْ ثَبَتُوا عَلَى حَالٍ وَاحِدَةٍ، وَهِيَ التَّصَدِيقُ الْمَحْضُ، وَبَذَلُوا مُهَجَّهُمْ وَنَفَائِسَ أَمْوَالِهِمْ فِي طَاعَةِ اللَّهِ وَرِضْوَانِهِ، هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَفْعَلُونَ ذَلِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ فِي قَوْلِهِمْ: (إِنَّا مُؤْمِنُونَ)، لَا بَعْضُ الْأَعْرَابِ الَّذِينَ لَيْسَ مَعَهُم مِّنَ الدِّينِ إِلَّا الْكَلِمَةُ الظَّاهِرَةُ⁽⁸⁾.

المؤمنون
الكاملون أهل
ثبات وصدق
وجهاد في سبيل
الله

(1) الراغب، المفردات، والسمين الحلي، عمدة الحفاظ: (جهد).

(2) الزمخشري، الكشاف: 4/ 377، والطبي، فتوح الغيب: 14/ 516.

(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (سبل).

(4) الراغب، المفردات: (سبل).

(5) البيضاوي، أنوار التنزيل: 5/ 138.

(6) ابن فارس، مقاييس اللغة: (صدق).

(7) الراغب، المفردات، والسمين الحلي، عمدة الحفاظ: (صدق).

(8) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 22/ 318، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 7/ 390.

❖ الإيضاح اللغوي والبلاغي:

عَلَّةُ فصل قوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ﴾:

فُصِّلَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ عَمَّا قَبْلَهُ؛ لِأَنَّهُ اسْتِثْنَاءٌ فِيهِ تَعْلِيلٌ لِقَوْلِهِ: ﴿لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾، فَإِنَّ (إِنَّ) جزءٌ مِنْ «إِنَّمَا»، وَهِيَ مَفِيدَةٌ لِلتَّعْلِيلِ، وَقَائِمَةٌ مَقَامَ فَاءِ التَّضَرُّعِ، وَالْمَعْنَى: إِنَّمَا لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ؛ لِأَنَّ الْإِيمَانَ يَنَافِيهِ الْارْتِيَابُ⁽¹⁾، فَهُوَ اسْتِثْنَاءٌ بَيَانِي؛ لِأَنَّهُ جَوَابٌ سَوَالٍ عَنْ عَلَّةٍ نَفَى أَصْلَ الْإِيمَانِ عَنْهُمْ، وَذَهَبَ الْبَقَاعِيُّ إِلَى أَنَّهُ جَوَابٌ سَوَالٍ سَائِلٍ، تَقْدِيرُهُ: فَمِنْ الَّذِي آمَنَ؟⁽²⁾ فَالْفَصْلُ لِشَبِّهِ كِمَالِ الْإِتِّصَالِ أَيْضًا.

نَكْتَةُ توكيد ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ﴾:

أَكَّدَ قَوْلَ الْحَقِّ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ بِأَسْلُوبِ الْقَصْرِ بِإِنَّمَا؛ لِتَحْقِيقِ مَضْمُونِ الْكَلَامِ؛ لِجَلِيلِ أَهْمِيَّتِهِ فِي سِيَاقِ تَحْرِيكِ الْأَعْرَابِ أَصَالَةً وَغَيْرِهِمْ تَبَعًا لِتَحْقِيقِ الْإِيمَانِ، وَلِتَنْبِيهِ مَنْ لَمْ يَسْتَوْفِ شَرَائِطَ الْإِيمَانِ عَلَى أَنَّ إِيْمَانَهُ غَيْرُ كَامِلٍ⁽³⁾.

سُرُّ إِيْثَارِ ﴿إِنَّمَا﴾ دُونَ غَيْرِهَا مِنْ أَدَوَاتِ الْقَصْرِ:

اخْتِيرَ لِلْقَصْرِ «إِنَّمَا» دُونَ غَيْرِهَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾؛ لِتَنْبِيهِ عَلَى أَنَّ هَذَا الْحُكْمَ مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يُعْلَمَ بِأَدْنَى التَّفَاتِ؛ لِأَنَّ «إِنَّمَا» تُسْتَعْمَلُ فِي الْأَمْرِ الَّذِي مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَكُونَ مَعْلُومًا لِلْمَخَاطَبِ، وَفِي ذَلِكَ تَوْبِيخٌ لَهُمْ شَدِيدٌ⁽⁴⁾.

دَلَالَةُ تعريف: ﴿الْمُؤْمِنُونَ﴾:

تعريفُ الْمُؤْمِنِينَ بِـ (أَل) فِي قَوْلِهِ جَلَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ

إِيمَانُ الْأَعْرَابِ
الْمَذْكُورِينَ غَيْرُ
مُسْتَوْفٍ لَشُرُوطِ
الْإِيمَانِ الْكَامِلِ

فِي التَّوَكِيدِ لَفَتْ
إِلَى أَهْمِيَّةِ الْمَعْنَى
سِيَاقًا

تَوْبِيخُ الْجَاهِلِ
بَشَرَائِطِ الْإِيمَانِ
وَتَجْهِيلُهُ

الْمُؤْمِنُ الْكَامِلُ
هُوَ الْمُتَّصِفُ
بِالْصِّفَاتِ
الْمَذْكُورَةِ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 267 / 26.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 388 / 18.

(3) الشربيني، السراج المنير: 75 / 4.

(4) القنوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 151 / 18.

الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ» لِلْجَنَسِ، الَّذِي يَتَّسِعُ لدخول الأعراب وغيرهم - مِمَّنْ لم يؤمنوا، ولم يدخل الإيمان في قلوبهم - فيه.

دلالة التعبير بالموصل في «الَّذِينَ آمَنُوا»:

مَنْ رَسَخَ
إِيمَانُهُ؛ كَانَ
مَعْرُوفًا بِهَذِهِ
الْأَوْصَافِ فِي
مِيزَانِ اللَّهِ

جاء بالاسم الموصل في قوله جَلَّ ذِكْرُهُ: «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ» الآية؛ للتبنيهِ بما في حيزِ الصَّلَةِ، وما عُطِفَ عليه على علَّةِ استحقاق وصفِ الإيمانِ الكاملِ، وللتبنيهِ على غايةِ فخامةِ هذه الأوصافِ التي نُظِمَتِ صِلَةٌ للموصلِ، وشَرَفِهَا وَعِظَمِهَا، فإذا كَانَتْ عُنْوَانًا لَهُمْ، يُعَرَفُونَ، وَيُشْهَرُونَ بها؛ فليجتهد هؤلاء الأعرابُ وغيرهم في تحصيلِها، والتَّرَقِّي فيها، حتَّى يكونوا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، ولتَمْهيدِ للإخبارِ عنهم بأنَّهم الجديرون بأن يكونوا الصَّادِقِينَ دُونَ غيرهم.

معنى الباء ودلالة التعبير بها في «بِاللَّهِ»:

بِقَدْرِ اسْتِحْضَارِ
أَوْصَافِ اللَّهِ،
وَرَسُولِهِ فِي
الْقَلْبِ وَالْوَاقِعِ
يَكُونُ قَدْزُرَ
الْإِيمَانِ

الباءُ في قوله ﷻ: «الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ»؛ لتعديَةِ الفعلِ إلى المفعولِ، ومعْنَى الإِلصَاقِ لا يَكَادُ يُفَارِقُهَا، فتدلُّ على غايةِ اسْتِحْضَارِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ فِي النَّفْسِ وَالْقَلْبِ وَالْعَقْلِ وَغَايَةِ طَاعَتِهِمَا، كما قال تعالى مِنْ قَبْلُ: «وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ»، فذلك هو الإيمانُ الحَقِيقِيُّ فِي دَاخِلِ الْإِنْسَانِ وَخَارِجِهِ الْمُتَعَلِّقُ بِهِ.

نكتة إثبات اسم الجلالة دون غيره:

الْمُؤْمِنُ الْكَامِلُ
يُؤْمِنُ بِجَمِيعِ
صِفَاتِ اللَّهِ

أَوْثَرَ اسْمُ الْجَلَالَةِ دُونَ غَيْرِهِ فِي قَوْلِ الْبَارِي جَلَّ وَعَزَّ: «الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ»؛ لدلالته على جميع صفات الجلال والكمال والجمال، فيفيد الكلام أنَّ الْمُؤْمِنِينَ الصَّادِقِينَ قد آمنوا به ﷻ، وبجميع صفاته، وبرسوله ﷺ (1).

(1) البقاعي، نظم الدرر: 389 / 18.

نكتة الإضافة في ﴿وَرَسُولِهِ﴾:

إضافة الرَّسُولِ إلى الضَّميرِ الرَّاجِعِ إلى اسمِ الجلالةِ في قوله
 ﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾؛ لتشريفه ﷺ بانتسابه إلى
 العظيم ﷺ، وإفادة أن الإيمان بالرَّسُولِ تابعٌ للإيمان بالله، ومُؤَسَّسٌ
 على كونه رسولَ الله، وهذا تعريفٌ بالرَّسُولِ لمثل الأعرابِ، فرسولُ
 العظيم عظيمٌ يجبُ الإيمانُ به واتباعُهُ.

الإيمانُ بالرَّسُولِ
 إيمانٌ بالله

بلادة الإيجاز:

اقتصرَ على ذكرِ الإيمانِ بالله ورسوله في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ
 آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾، ولم يُذكرَ باقي أركانِ الإيمانِ إيجازًا؛ استغناءً
 بالمدكورين عن غيرهما؛ بناءً على أن الإيمانَ الكاملَ هو الشَّامِلُ
 لجميعِ أركانِ الإيمانِ؛ لأنَّ الإيمانَ بهما به يتحصَّلُ المرءُ على المعرفةِ
 التي هي العِلْمُ، وغايتها الحِكْمَةُ⁽¹⁾، وهذا هو الأنسبُ بحالِ الأعرابِ
 الَّذي يقتضي الإيجازَ؛ ولأنَّ من مقاصدِ السُّورَةِ ذكرَ الأدبِ مع الله
 ورسوله، فذكرَ الإيمانَ بهما الَّذي هو أصلُ سائرِ الآدابِ.

المدكورُ من
 الأركانِ ناظرٌ إلى
 حالِ الأعرابِ

دلالة العطف بـ ﴿ثُمَّ﴾ في ﴿ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾:

عُطِفَ بـ ﴿ثُمَّ﴾ الدَّالَّةِ على التَّراخي في قوله تعالى ذكرُهُ: ﴿ثُمَّ
 لَمْ يَرْتَابُوا﴾، مع أنَّ عدمَ الارتيابِ يجبُ أن يكونَ مُقارنًا للإيمانِ؛
 لأنَّ مَنْ وُجِدَ منه الإيمانُ ربَّما اعترضهُ الشَّيْطَانُ أو بعضُ المضلِّينَ،
 فشكَّكَ، وقذفَ في قلبه ما يثلمُ يقينَهُ، أو نظرَ هو نظرًا غيرَ سديدٍ
 يُسبِّبُ لَهُ الشَّكَّ، ثُمَّ يستمرُّ على ذلك، فوصِفَ المؤمنونَ حقًّا بالبُعْدِ
 عن هذه المويقاتِ، ولأنَّ الإيقانَ وزوالَ الرَّيبِ لما كانَ مِلاكَ الإيمانِ؛
 أُفِرِدَ بالذكرِ بعدَ تقدُّمِ الإيمانِ؛ تنبيهًا على علوِّ شأنه، وعُطِفَ على
 الإيمانِ بكلمةِ التَّراخي؛ إشعارًا باستقراره في الأزمنةِ المتراخيةِ

التَّباتُ على
 الإيمانِ شأنُهُ
 عظيمٌ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 389/18.

المتطاوله، وأنه لا يقتصرُ على وقتِ الإيمان⁽¹⁾، وفي ذلك إشارة إلى مزية الثباتِ على الإيمان⁽²⁾.

نكتة التعبير بالمضارع المنفي في ﴿لَمْ يَرْتَابُوا﴾:

عُبرَ بالمضارع المنفي في قوله ﷺ: ﴿ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾؛ للدلالة على استمرار انتفاء الريب، وأن المؤمنين الصادقين لا يعتري إيمانهم خللٌ في وقتٍ من الأوقات الكائنة بعد الإيمان، وهذا يعني أن الثبات على الإيمان يحتاجُ إلى مُجاهدة مُتجددة، فضلاً عن الترقّي فيه، لا سيّما: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أهلُ المستوى الأدنى فيه.

بلاغة التعبير بصيغة الافعال في ﴿لَمْ يَرْتَابُوا﴾:

عُبرَ بصيغة الافعال في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾؛ إشارة إلى العفو عن حديث النفس الذي لا يستطيع الإنسان دفع أصله، ويكرهه غاية الكراهة، ويجتهد في دفعه⁽³⁾.

بلاغة التعريض في ﴿ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾:

في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾ تعريضٌ بالأعراب الذين نفي عنهم الإيمان قبل ذلك بأن نفيه عنهم؛ لكونهم مرتابين في الله ورسوله⁽⁴⁾، وإنما كانت هذه الدلالة تعريضيةً حاصلةً عند اللفظ لا به؛ لأنها من تفصيل نفي الإيمان عنهم أولاً، ونفي دخول الإيمان في قلوبهم ثانياً؛ والألصق بحال الأعراب الإيجاز من جهة، والإحسان إليهم بعدم مواجهتهم بذلك - والارتياب في مثل ذلك ناشئ عن ضعف العقل - صراحةً.

نكتة عطف ﴿وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾:

لما ذَكَرَ ﷺ الأمانة الباطنة على الإيمان الصادق الكامل على

الإيمان الصادق
لا يعتريه خللٌ
أبداً

حديث النفس
معفو عنه

في إيمان الأعراب
ريبة

المعطوف من
تمام المعطوف
عليه

(1) الزمخشري، الكشاف: 377/4، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 138/5، والنسفي، مدارك التنزيل: 359/3.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 389/18.

(3) البقاعي، نظم الدرر: 389/18.

(4) البيضاوي، أنوار التنزيل: 138/5، والخفاجي، غناية القاضي: 82/8.

وجه جامع لجميع العبادات المَالِيَّةِ والبدنيَّةِ؛ قال: ﴿وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾⁽¹⁾، فذكر تفصيل ذلك من الأمانة الظاهرة، والمعنى: واجهدوا بأموالهم وأنفسهم في طاعة الله، على تكثُر فنونها، من العبادات البدنيَّة المحضة، والماليَّة الصَّرفة، والمُشتملة عليهما معًا كالْحَجِّ والجهاد⁽²⁾.

نكتة التَّعْبِيرِ بِالْمَاضِي فِي ﴿وَجَاهِدُوا﴾:

جاء بصيغة الماضي في قول الحق ﷻ: ﴿وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، على خلاف الأصل والظاهر الذي هو المضارع؛ للدلالة على أنَّ الوصول إلى درجة العِراقَةِ في الإيمان يحتاج إلى جهاد ومُجاهدة - لا محالة - وتبشيراً بأنَّ المستوى الأدنى من الجهاد والمُجاهدة ﴿وَجَاهِدُوا﴾ سيوصل إلى الدُّخول في أهل المستوى الأعلى في الإيمان (المؤمنون) رفعًا، و(المؤمنين) نصبًا وجرًا، وأنَّ طالبي الرُّسوخ في الإيمان عليهم ألا يعتمدوا على المُجاهدة فقط، بل عليهم أن يتطلَّعوا إلى توفيق الله وإحسانه، بأن يقبلهم، ويقبل القليل منهم، فيتمِّيه لهم.

بلادة الإدماج في الآية:

الذي يقعد عن الجهاد لا ينتفي عنه وصف الإيمان؛ إذ لا يكفِّر المسلم بارتكاب الكبائر عند أهل الحق، فكان ذِكْرُ الجهاد في بيان ما به تتقوَّم حقيقة الإيمان على خلاف الأصل والظاهر، فهو من باب الإدماج، والمقصود من إدماج ذكر الجهاد في قوله تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ التَّنويه بفضل المؤمنين المجاهدين، وتحريض الذين دخلوا في الإيمان على الاستعداد على الجهاد⁽³⁾.

لا بُدَّ مِنَ
المُجَاهِدَةِ مَعَ
رجاء إحسان
الله وَفَضْلِهِ

حَثُّ الْأَعْرَابِ
على الاستعداد
على الجهاد

(1) البقاعي، نظم الدرر: 389 / 18.

(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 185 / 6.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 267 / 26.

معنى الباء ودلالة التعبير بها في ﴿بِأَمْوَالِهِمْ﴾:

الباء في قوله تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ للاستعانة، ومعنى الإلصاق الذي يُعَبِّرُ عنه بالمُلابَسَةِ لا يُفَارِقُهَا، فتدلُّ على عِظَمِ قِيَمَةِ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ فِي بَابِ الْجِهَادِ وَالْمُجَاهَدَةِ؛ لضرورة توفُّرِهَا على الاستمرارِ والدَّوامِ، وأنَّ عَظِيمَ الجِهَادِ وَالْمُجَاهَدَةِ هُنَا هُوَ الْمُتَلَبِّسُ دَوْمًا بِالْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ.

غرض الإضافة في ﴿بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ﴾:

الإضافة في قول الباري ﷻ: ﴿بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ﴾ بمعنى اللام، أي: بأموالٍ لهم وأنفسٍ لهم، فتفيدُ أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ الصَّادِقِينَ يُقَدِّمُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَعَزَّ مَا يَمْلِكُونَ، وهذا إبْلَاحٌ فِي تَقْرِيرِ نَفَاسَةِ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ فِي بَابِ الْجِهَادِ وَالْمُجَاهَدَةِ؛ لَسَبْقِ دَلَالَةِ الْبَاءِ عَلَى ذَلِكَ.

بلاغة عطفِ الأنفُسِ على الأموال:

عطفُ الأنفُسِ على الأموالِ في قوله ﷻ: ﴿بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ﴾؛ للإشارةِ إلى أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَجَاهِدُونَ بِالْعِبَادَاتِ الْمَالِيَّةِ بِأَسْرِهَا، وَبِالْعِبَادَاتِ الْبَدَنِيَّةِ بِأَسْرِهَا، لَا بِيَعِضِهَا فَقَطْ⁽¹⁾، وَهَذَا فَتَحٌ لِبَابِ التَّسَابُقِ وَالتَّنَافُسِ وَالتَّسَارُعِ؛ تَنَافِيًا مَعَ الْمُسْتَوَى الْأَعْلَى فِي مَقَامِ الْإِيمَانِ ﴿الْمُؤْمِنُونَ﴾.

معنى ﴿فِي﴾، ودلالة التعبير بها في قوله: ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾:

التَّعْبِيرُ بِحَرْفِ الْجَرِّ الدَّالِّ عَلَى الظَّرْفِيَّةِ الْمَكَانِيَّةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ذِكْرُهُ: ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾؛ لِلإِشَارَةِ إِلَى أَنَّ سَبِيلَ اللَّهِ - وَهُوَ طَاعَتُهُ وَدِينُهُ - بِمَنْزِلَةِ ظَرْفٍ مَكَانِيٍّ لَجِهَادِ الْمُؤْمِنِينَ، فَهُمْ يَتَحَرَّوْنَ بِجِهَادِهِمْ هَذَا السَّبِيلَ، وَلَا يَضَعُونَهُ فِي غَيْرِهِ، وَهَذَا يَعْنِي أَنَّهُمْ يَكُونُونَ عَلَى عِلْمٍ بِأَفْرَادِ هَذَا السَّبِيلِ، وَأَنَّ هَذَا مِنْ بَابِ الْجِهَادِ؛ لِأَنَّ مَا لَا يَتِمُّ الْجِهَادُ إِلَّا بِهِ؛ فَهُوَ جِهَادٌ.

يَهْوُونَ عَلَى
لِلْمُؤْمِنِينَ
بِذَلِّ الْأَمْوَالِ
وَالْأَنْفُسِ دَوْمًا

الْمُؤْمِنُ يُقَدِّمُ فِي
سَبِيلِ اللَّهِ أَعَزَّ
مَا يَمْلِكُ

اتَّسَاعُ مَجَالَاتِ
الْمُجَاهَدَةِ عَلَى
مُسْتَوَى الْمَالِ
وَالْبَدَنِ

بَيَانُ ضَرُورَةِ
الْعِلْمِ بِسَبِيلِ
اللَّهِ

(1) البيضاوي، أنوار التنزيل: 5/ 138، وابن التمجيد، حاشية على تفسير البيضاوي: 18/ 151.

نكتة الإضافة في ﴿سَبِيلَ اللَّهِ﴾:

إضافة السَّبِيلِ إلى اسمِ الجلالة في قوله تعالى: ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾؛ لتعظيمه وتشريفه، بانتسابه إلى العظيم الجليل ﷺ، وأنَّ الجهادَ والمُجاهدةَ في سبيلِ الملكِ الأعظمِ يورثُ عزًّا وشرَفًا وفلاحًا في الدُّنيا والآخرة، ففيها ترغيبٌ عظيمٌ في المُجاهدةِ في هذا السَّبِيلِ.

علة التعبير باسمِ الجلالة:

اختيرَ اسمُ الجلالة في قولِ الحقِّ ﷻ: ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾؛ لدلالته على صفاتِ العظمة والجلالِ الَّذي لا ينبغي أن يكونَ عملٌ إلَّا لوجهه، أي: في سبيلِ الملكِ الأعظمِ⁽¹⁾، ففيه تعليلٌ بانصبابِ المُجاهدةِ على السَّبِيلِ المُضافِ إليه.

علة الفصل في: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾:

فُصِّلَ قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ عمَّا قبله، على خلافِ الأصلِ والظاهرِ الَّذي هوَ أن يكونَ معطوفًا بالواوِ على مجموعِ ما سبقَ من الآية؛ لما بينهما مِنَ التَّوسُّطِ بينَ الكمالَيْنِ، فكلُّ منهما خبرٌ في اللَّفْظِ والمعنى، يُقرِّرُ حقيقةَ الإيمانِ الكاملِ، وفي حذفِ الواوِ الَّتِي لا يبرحُها معنى المُغايرةِ إيهامٌ أنَّ الطَّرفَيْنِ كأنَّهما شيءٌ واحدٌ.

نكتة التعبير بالجملة الاسميَّة ﴿أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾:

جاءَ بالجملةِ الاسميَّةِ في قولِ الباري ﷻ: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾؛ للدَّلالةِ على أنَّ كونَهُم الصَّادِقِينَ دونَ غيرِهِم حقيقةٌ ثابتةٌ، لا شكَّ فيها ولا ارتيابَ، وهذا إبلاغٌ في مدحِهِم وتعظيمِ حالِهِم؛ للاتِّساعِ بِهِم.

سرُّ التعبيرِ باسمِ الإشارةِ للبعيدِ ﴿أُولَئِكَ﴾:

عُبرَ باسمِ الإشارةِ للبعيدِ في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾؛

الدَّخُولُ فِي
هَذَا السَّبِيلِ
دَخُولٌ فِي مَعْنَى
الْأَوْهِيَّةِ الْحَقَّةِ

الْعَمَلُ لَا
يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ
إِلَّا لِلْعَظِيمِ
سُبْحَانَهُ

كَأَنَّ التَّعْرِيفَ
بِحَقِيقَةِ الْإِيمَانِ
تَعْرِيفٌ بِالصِّدْقِ
فِي الْإِيمَانِ،
فَكَانَ تَوْطئةً لَهُ

صِدْقُ الْمُؤْمِنِينَ
الْكَامِلِينَ حَقِيقَةً
ثَابِتَةً

(1) البقاعي، نظم الدرر: 390 / 18، والشربيني، السراج النير: 75 / 4.

مَنْ تَحَلَّى
بِالصِّفَاتِ
الْجَلِيلَةِ؛
اسْتَحَقَّ الْمَقَامَ
الرَّفِيعَةَ

أَهْلُ الصِّدْقِ
هُمُ الْمُؤْمِنُونَ
لِلْخُلُوصِ لَا
لِلْأَعْرَابِ

الْمُؤْمِنُ الْخُلِصُّ
لَا يَدْخُلُ إِيْمَانَهُ
قَلَقٌ وَلَا اضْطِرَابٌ
وَلَا تَهْمَةٌ

لتعظيم المشار إليه - وهم المؤمنون المتصفون بالصفات الجليلة السابقة - وبيان علو شأنهم⁽¹⁾، واستحضارهم بصفاتهم التي بها استحقوا تخصيص الصدق بهم.

بلغة القصر في ﴿أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾:

في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ قصر إضافي⁽²⁾، مستفاد من تعريف الطرفين، أو توسط ضمير الفصل بينهما، أي: هُمُ الصَّادِقُونَ، لا أنتم في قولكم: ﴿ءَامَنَّا﴾، وهو من قصر الموصوف على الصفة، ووجود طريقين للقصر إبلاغ في توكيد معنى التركيب؛ إبلاغاً في تقريره في نفوس الأعراب؛ نظراً إلى غلظتهم العنيفة، والمعنى: أولئك هم الصادقون في إيمانهم، لا الأعراب الذين قالوا قولاً، ولم يخلصوا⁽³⁾، وفي ذلك تعريض بهم أيضاً⁽⁴⁾.

❁ الفرق المَجْمِعة:

الشَّكُّ وَالرَّيْبُ:

الشَّكُّ: اعتدال النقيضين عند الإنسان وتساويهما، وقد يكون ذلك بسبب وجود أمارتين متساويتين عند النقيضين، أو بسبب عدم الأمانة فيهما، وقد يكون الشك في الشيء، هل هو موجود أو غير موجود؟ وقد يكون في جنسه من أي جنس هو؟ وقد يكون في بعض صفاته، وقد يكون في الغرض الذي لأجله أوجد⁽⁵⁾.

والرَّيْبُ: قريب من الشك، وفيه زيادة، كأنه تهمة وظن سوء، تقول: رابني أمر فلان؛ إذا ظننت به سوءاً⁽⁶⁾، ويكون الرَّيْبُ شكاً

(1) البقاعي، نظم الدرر: 390/18، والشربيني، السراج للنير: 75/4.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 268/26.

(3) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 117/28، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 124/8، وابن عاشور،

التحرير والتنوير: 268/17.

(4) القاسمي، محاسن التأويل: 543/8.

(5) الراغب، المفردات: (شك).

(6) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 265/2.

مَعَ خَوْفٍ وَفَلَقٍ وَاضْطِرَابٍ أَيْضًا، تَقُولُ: رَبَّنِي هَذَا الْأَمْرُ؛ إِذَا أَدْخَلَ عَلَيْكَ شَكًّا وَخَوْفًا⁽¹⁾.

وَقَدْ عُبِّرَ بِالرَّيْبِ هُنَا؛ لِأَنَّهُ أُبْلَغُ فِي مَدْحِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُخْلِصِينَ؛ لِمَا فِيهِ مِنَ الدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ إِيْمَانَهُمْ لَا يَخَامِرُهُ شَكٌّ وَلَا خَوْفٌ وَلَا قَلَقٌ وَلَا تَهْمَةٌ.

الْغَزْوُ وَالْجِهَادُ:

الْغَزْوُ: يَكُونُ فِي بِلَادِ الْعَدُوِّ، وَالْجِهَادُ مُطْلَقٌ، فَكُلُّ غَازٍ مُجَاهِدٌ دُونَ الْعَكْسِ، وَأَيْضًا: الْغَرَضُ الْأَصْلِيُّ مِنَ الْغَزْوِ الْغَنِيمَةُ، وَتَحْصِيلُ الْمَالِ، وَإِنْ اسْتَلْزَمَ ذَلِكَ الْحَرْبَ وَالْمَقَاتِلَةَ، وَالْغَرَضُ مِنَ الْجِهَادِ الْمُحَارَبَةُ لِقَهْرِ الْعَدُوِّ، وَإِنْ اسْتَلْزَمَ ذَلِكَ تَحْصِيلَ الْغَنَائِمِ وَالْفَوَائِدِ⁽²⁾.

وَقَدْ اخْتِيرَ الْجِهَادُ هُنَا؛ لِعُمُومِهِ وَصِلَاحِيَّتِهِ لِأَنَّهُ يُرَادُ بِهِ جَمِيعُ أَنْوَاعِ الْجِهَادِ، فَيَكُونُ أَنْسَبَ بِمَقَامِ مَدْحِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُخْلِصِينَ.

السَّبِيلُ وَالطَّرِيقُ:

السَّبِيلُ: أَعْمُ مِنَ الطَّرِيقِ، تَقُولُ: سَبِيلُ اللَّهِ، وَطَرِيقُ اللَّهِ، وَتَقُولُ: سَبِيلُكَ أَنْ تَفْعَلَ كَذَا، وَلَا تَقُولُ: طَرِيقُكَ أَنْ تَفْعَلَ كَذَا، وَأَيْضًا: السَّبِيلُ يُسْتَعْمَلُ غَالِبًا فِي الْخَيْرِ، وَلَا يَكَادُ الطَّرِيقُ يُسْتَعْمَلُ فِي الْخَيْرِ إِلَّا مُقْتَرِنًا بِوَصْفٍ، أَوْ إِضَافَةٍ تُخَصِّصُهُ لَذَلِكَ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَهْدِي إِلَى أَحَقِّ وَآلِي طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ﴾⁽³⁾ [الأحقاف: 30]، وَالطَّرِيقُ قَدْ يَكُونُ مَعْتَادَ السُّلُوكِ، وَقَدْ لَا يَكُونُ، وَالسَّبِيلُ: يَكُونُ مَعْتَادَ السُّلُوكِ⁽⁴⁾.

وَقَدْ اسْتَعْمَلَ السَّبِيلُ هُنَا؛ لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ الطَّرِيقَ إِلَى اللَّهِ خَيْرٌ، وَمَعْتَادُ السُّلُوكِ، وَفِي ذَلِكَ حُثٌّ عَلَى السُّلُوكِ فِيهِ، وَتَرْكُ مَا سِوَاهُ مِنَ الطَّرِيقِ.

الْمُؤْمِنُ يُجَاهِدُ
بِجَمِيعِ أَنْوَاعِ
الْجِهَادِ

الطَّرِيقُ إِلَى اللَّهِ
كَلَّةٌ خَيْرٌ وَيُسْرٌ

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (رب)، والقونوي، حاشية على تفسير البياضوي: 18/ 150.

(2) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 384.

(3) العسكري، الفروق، ص: 313.

(4) حقي، الفروق، ص: 143.

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السابع والخمسون،
سورة الحُجُرَات من الآية 15 إلى سورة الطُّور الآية 24
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السابع والخمسون، سورة الحُجُرَات من الآية 15 إلى سورة الطُّور الآية 24
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-

الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.

مج. 57، 802 صفحة؛ 24x17 سم.

ردمك : 978-9948-650-27-0

يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.

مج. 57 : المجلد السابع والخمسون، سورة الحُجُرَات من الآية 15 إلى سورة الطُّور الآية 24.

1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-

ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).

قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-650-27-0

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-4331956 بتاريخ 2026/01/07م،

الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية : E

"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"